مقياس النقد الصحفي والمعارك الأدبية. ماستر 01.

د.حياة عمارة

المحاضرة الثامنة: بين سلامة موسى و أحمد الحوفي.

نشر سلامة موسى كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية" عام 1945م، فأثارت الآراء الّتي تضمّنها المؤلّف الرامية إلى مهاجمة اللغة العربية غيرة الباحثين، و دارت معركة كبيرة بين صاحبه و أحمد الحوفي.

وكانت مجمل آراء سلامة موسى تتمثّل في:

1-الدعوة إلى الأسلوب التلغرافي ومهاجمة الأسلوب البياني.

2-الدعوة إلى إلغاء كلمات الحرب مت اللغة.

3-الدعوة إلى إدخال الكلمات الأعجمية دون قيد.

4-الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية.

وقد تصدّى أحمد الحوفي لهذه الآراء وفنّدها، و ممّا ورد في مقاله- الّذي نشر في مجلّة الرسالة- "ماذا يريد سلامة موسى بالأسلوب التلغرافي؟ إنّه يريد أن يكون الأسلوب خاليا من الروعة و البراعة والجمال و الموسيقى، مع أنّ الأديب، شاعرا كان أم كاتبا، إنّما يفتن القلوب ويسحر العقول بألفاظه، وليس اللفظ رمزا يشير إلى فكرة ومعنى وحسب، بل هو مجموعة من صور ومشاعر أنتجتها التجربة الإنسانية و بثّها اللفظ فزادت خصبا وحيوية..."

ويردّ على قول سلامة موسى:" ويجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة و أن تكون مخاطبة العقل غاية المنشئ بدلا من مخاطبة العواطف." بقوله" هذه فكرة عاسفة تهدم أساس الشعر و النثر و الفنون الجميلة عامّة، لأنّ الفنون وليدة العواطف و استجابة لنوازع نفسية لا صلة للمنطق بها، و لو أنّ أخضعنا كثيرا من النصوص الأدبية الّتي تروقنا للمنطق لوجدناها هباء. بل إنّنا لو اتّخذنا المنطق وحده دعامة للأدب لانقلب إلى حقائق جافّة لا خيال فيها و لا جمال و لا سحر، ز لكان الأحرى أن يسمى علما لا أدبا..."

ويدافع الحوفي عن اتّهام سلامة موسى للغة العربية بأنّها وليدة مجتمع أرستقراطي حربي ديني " إنّها جرأة و دعوى باطلة، فلم تكن الأمّة الإسلامية في العصر العباسي الّذي يقصده الكاتب أرستقراطية حربية دينية وحسب، و إلاّ فبأيّة لغة ترجم المسلمون تراث اليونان والفرس و الهنود؟ أتتّسع اللغة العربية للتعبير

عـن فلسـفة أفلاطـون و أرسـطو والتعليـق عليهـا وشـرحها، ثمّ تـتّهم بأنّهـا لغـة مجتمـع أرسـتقراطي حـربي ديـني وحسـب–فليسـت صـالحة لنـا؟ وبأيّـة لغـة ألّـف المسـلمون في الفلسـفة والفلـك والرياضـة والمنطـق والأخـلاق والكيمياء والبلاغة؟"

ويـرى سـلامة موسـى أنّ كتّـاب مصـر متخلّفـون رجعيـون لأنّهـم يعنـون بالبحـث في الماضـي. وهـذا بـرأي الحـوفي محـض افـتراء:" لقـد كتـب العقـاد عـن الماضـي ولكـن بـروح العصـر وثقافـة العصـر والطـرق الحديثـة في البحـث والتحليـل. وربّمـا دار بخلـدي أن يُلحـى العقـاد وهيكـل وطـه والحكـيم وغـيرهم لأنّهـم كتبـوا عـن النـبيّ–صـلّى الله عليـه وسـلّم– كتبـا تخضـع لطرائـق البحـث الحـديث، و لكـنّهم جلّـوا نـواحي مـن عظمتـه و أبـرزوا طرفـا مـن سمـوّ رسـالته ولم يجمـح بأحـد قلمـه فيتقـوّل أو يـتهجّم. ثمّ كتـب العقـاد وهيكـل في أبي بكـر و عمـر وخالـد. وكتـب العقـاد في علـي والحسـين وعائشـة، فـلا والله مـا وجـدوا إلاّ صـحائف مـن ذهـب تنبلج بالعظمة والبطولة والنبالة...

ولكـن هـل كتّبنـا اقتصـروا علـى الماضـي وحـده كمـا يـزعم؟ هـذا الـزيات يـترجم "آلام فيرتـير" لجوتيـه، و "رافائيـل" للامـرتين. وهـا هـو العقـاد يؤلّـف عـن شـعراء مصـر وبيئاتهم...ولـه مئـات المقـالات في شـتّى الموضـوعات...وهذا هيكـل يؤلّـف في روسـو.. فـأيّ منصـف يعـد ذلـك يتجـنّى علـى كتّـاب مصـر بأنّهـم يحيون وعيونهم مشدودة إلى الماضي.."

و قـد دعـا موسـى في كتابـه إلى إدخـال الكلمـات الأعجميـة في اللغـة العربيـة علـى حالهـا، واسـتدلّ بأنّ العـرب أدخلـوا في لغـتهم في العصـر العباسـي كلمـات أعجميـة " ولكنّـه نسـي أنّ العـرب اسـتعاروا كلمـات مـن الفـرس واليـونان والهنـد بعـد أن صـقلوها أوّلا صـقلا عربيـا لـتلائم مـنطقهم، وقلّمـا اسـتعملوا الكلمـة الأجنبيـة علـى حالها...ومـا مـن شـكّ في أنّنـا إذا أبحنـا لأنفسـنا اسـتعمال الكلمـات الأعجميـة علـى حالهـا وبغير ضـرورة إلى اسـتعمالها، فقـد حفـرنا للغتنـا و قوميتنـا قـبرا بأيـدينا، لأنّـه لـن يمضـي قـرن واحـد حـتّى تصـير لغتنـا خليطـا مشـوّها مـن عربيـة مهزومـة ز عاميـة مختلفـة باخـتلاف الأصـقاع و البيئـات، و أعجميـة غازيـة متفشية، ثمّ بعد قرن واد تندثر العربية و العامية و نتفرنس أو نتأنجلز..."

و يفنّـد الحـوفي آراء سـلامة موسـى الداعيـة إلى إحـلال اللهجـة العاميـة محـلّ اللغـة العربيـة "مـا دامـت اللغـة العامّـة محرّفـة عـن الفصـحى، فلمـا نفضّـل الـدخيل علـى الأصـيل؟ و لمـا لا تكـون الفصـحى أحـقّ بالاسـتعمال مـا دام القـرّاء يفهمونهـا؟ ليسـت اللغـة الفصـحى هـي المحشـوة بالغريـب، و لا العويصـة التركيـب، و إنّمـا هـي التعبـير الصـحيح الجـاري علـى قواعـد اللغـة و إن كانـت مفرداتهـا في متنـاول الجميـع، فلن تنفصل الفصحى إذن عن المجتمع..."

المحاضرة التاسعة: قراءة في كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين.

هو مؤلّف نقدي صدر في مصر عام 1926م، تضمّنته مائة وخمس و ثمانين صفحة، مقسّم إلى ثلاثة كتب:

الكتاب الأوّل:

1-تمهيد.

2-منهج البحث.

3-مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلمس في القرآن لا في الشعر الجاهلي.

4-الشعر الجاهلي واللغة.

5-الشعر الجاهلي واللهجات.

الكتاب الثاني: أسباب انتحال الشعر الجاهلي

1-ليس الانتحال مقصورا على العرب.

2-السياسة وانتحال الشعر.

3-الدين وانتحال الشعر.

4-القصص وانتحال الشعر.

5-الشعوبية وانتحال الشعر.

الرواة وانتحال الشعر.

الكتاب الثالث: الشعر و الشعراء

1-قصص و تاريخ.

2-امرؤ القيس-عبيد-علقمة.

3-عمرو قميئة-مهلهل-جليلة.

4-عمرو بن كلثوم-الحارث بن حلّزة.

5-طرفة بن العبد-المتلمس.

أ-ما القضية الّتي أثارها طه حسين؟

في هذا الكتاب طبّق طه حسين على الشعر الجاهلي المنهج الفلسفي-منهج الشك- الّذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء، وخلص في استنتاجاته وتحليلاته أن الشعر الجاهلي منحول، أي لا ينتمي لقائله، وأنّه كُتب بعد الإسلام ونُسب لشعراء ما قبل الاسلام. وقد تطرّق إلى عدّة نقاط في هذا الكتاب وهي: لغة هذا الشعر، والزمن الذي كُتب فيه، ولماذا كُتب؟ وهل شعراء ما قبل الإسلام حقيقة أم خيال كامرئ القيس، طرفة بن العبد ...

ب-الملاحظات التي استخلصها طه حسين بعد دراسة هذا الشعر:

*عجز هذا الشعر عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين، فهو يُظهر حياة غامضة جافّة بريئة من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلّطة على الحياة العامة. فيطرح السؤال: كيف لقبائل عربية ضحت وحاربت من أجل دينها لا تظهر هذه الحياة الدينية في شعرها؟

*إذا كان هذا الشعر ينتمي إلى قبائل متفرّقة (القحطانيين في اليمن-العدنانيين في الحجاز)، والنقوش والنصوص أثبتت أنّ هناك فرقا جوهريا بين لغة القحطانيين والحجازيين، فالمفروض أن يظهر اختلاف في لغة شعر هذه القبائل لكن لا نرى شيئا في الشعر الجاهلي. فها هو القرآن الّذي أتى بلغة واحدة وهي لغة قريش ولهجتها، ما لم يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتّى كثرت قراءاته وتعدّدت اللهجات فيه وتباينت تباينا. فيطرح طه السؤال: كيف استقامة أوزان الشعر الجاهلي وبحوره وقوافيه ولغته لقبائل العرب كلّها على الرغم من تباين لغاتها ولهجاتها؟ مثلا امرؤ القيس قحطاني -يمني حسب الرواة-وشعره قُرشي اللغة، لا فرق بينه وبين القرآن في لفظه وإعرابه وما يتّصل ذلك من قواعد اللغة. فكيف نظم الشاعر اليمني شعره في لغة أهل الحجاز؟ بل في لغة قريش؟

* أنّ أخبار الشعراء الجاهليين وأشعارهم لم تصل إلينا من طريق تاريخية صحيحة، وإنّما وصلت إلينا من هذه الطرق الّتي تصل منها القصص والأساطير: الراوية والأحاديث، الفكاهة واللعب، التكلّف والانتحال. إذا لا يمكن أن نطمئنّ أن أخبارهم وأشعارهم صحيحة.

من هذه الملاحظات استنتج أن:

*لا يُمكن التسليم بصحة هذا الشعر لأنّه لا يُمثّل الحياة الدينية والعقلية للعرب الجاهليين.

*أنّ هذا الشعر الّذي يُسموّنه الجاهلي لا يُمثّل اللغة الجاهلية، وبعيد كلّ البعد عن أن يُمثل اللغة العربية في العصر الّذي يزعم الرواة أنّه قيل فيه. وما بقى من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يُمثّل شيئا ولا يدلّ على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصور الأدبية الصحيحة لهذا العصر.

* أنّ العصبية وما يتّصل بها من المنافع السياسية قد كانت أهمّ الأسباب الّتي حملت العرب على وضع الشعر وإضافته إلى الجاهليين. فلمّا استقرّ الحكم لبني أميّة عادت العرب إلى ما كانوا فيه قبل الاسلام من التفاخر والعصبية، فتعصّبت قريش على الأنصار، والعدنانية على القحطانية...

*الشعر الجاهلي ما هو إلاّ من صُنع النحاة أو تكلّف القصاص أو اختراع المفسّرين والمحدثين.

* لقد ضاع الشعر الجاهلي لأنّ العرب لم تكن تكتب شعرها وإنّما كانت ترويه حفظا، وأتت الحروب وقضت على الكثير من الرواة والحفاظ.

*فهناك من شعراء الجاهلية ليس لهم وجود تماما واختُرعوا من قبل الرواة.

المحاضرة العاشرة: قراءة في نصوص الرافعي

"على السَّفُّود" هو كتاب نقدي يجسّدُ واحدةً من أشهر المعارك الأدبية الّتي دارت بين الرافعي والعقاد، فقد كُتِبَ في فترةٍ اتّسمت باحتدام الصراعات الفكرية والأدبية، والّتي أدَّت بدورها إلى إثراء الحياة الفكرية والثقافية في مصر والعالم العربي، وقد أشار النقاد إلى الأسباب الّتي دفعته إلى نشر هذه المقالات، ومنها أنّه أراد أن يحرّر النقد من طَوْقِ عبودية الأشخاص، وقد رمى الرافعي من خلال هذه المقالات إلى الثأر لشخصه، ولكتابه إعجاز القرآن الّذي رماه فيه العقاد بسهم الانتحال من كتاب سعد زغلول، وقد تباينت آراء النقاد حول الحكم على الأسلوب الّذي انتهجه الرافعي في كتابة هذه المقالات، فمنهم مَنْ استهجن هذا الأسلوب ومنهم من استحسنه، واعتبره ضربًا من ضروب الإصابة في القول، وقد وفّق الكاتب في استخدامه للفظ السّفود، للإشارة إلى ما تضمّنته هذه المقالات من نقدٍ مؤلمٍ لاذع.

سبب تأليف الكتاب

ألّف مصطفى الرافعي سلسلة كتب بعنوان "تاريخ آداب العرب" وكان الجزء الثاني منها بعنوان "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، وقد لاقى حفاوةً من الكثيرين ولعلّ أبرزهم سعد زغلول الّذي كتب تقريظا لهذا الكتاب، واشتهرت مقولته في وصفه "كأنّه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم".

ويبدو أنّ هذا الأمر آثار حسد الأقران، فالعقاد الّذي امتدح الرافعي وبالغ في الإطراء عليه في مقال نشر عام 1917، اتّخذ موقفا مناقضا لما كان عليه بعد تأليف هذا الكتاب. ويذكر الرافعي في كتابه "على السفود" أنّ العقاد التقى به وأخبره بوجههِ صراحةً أنّه قد انتحل تقريظ سعد زغلول وهذا اتّهام يوازي السرقة والتزوير.

وقد كتب الرافعي هذه المقالات "على السفود" الّتي تناولت عبد الله عفيفي سابقاً، ثمّ أعقبها بالعقاد دون أن يذكر اسمه، وقد ذكر أنّه حاول أن يعدل على صياغة الأسلوب الّتي عُرف بها الرافعي حتى لا يشكّ شاك أو يظنّ ظان أنه هو من خلّفها، ولكن –كما يذكر في رسائله لأبي رية– أنّه استغرب من انكشاف أمره وبلوغه للأفاق.

الأساليب الّتي اعتمدها الرافعي للردّ على العقاد:

1- محاولة إثبات السرقة الشعرية، والإثبات في مجال الشعر أصعب جداً في النص النثري، لأنّ ترميم البيت بصياغة جديدة تُشكل على الباحث والمتابع أن يجد شاهد السرقة بمقارنة اتحاد المعنين بشكل ملفت.
2- محاولة بيان الأخطاء النحوية واللغوية الّتي وقع فيها العقاد في أشعاره، وهي بمثابة أبجديات في اللغة. وهذا الجانب يكثر في السفوّد الأوّل ولكنّه يختفي تدريجياً إلى أن يظهر في السفود الأخير مُجدداً.
3- محاولة بيان تهافت المعنى وتناقضه في البيت الشعري، فمهما اتّسق البيت الشعري في تراكبه اللغوي إلاّ أنّ العلّة في معنى البيت. وهذا الجانب بالذات هو الجانب المحبذ للرافعي، وفيها استكثر من التهكّم والاستهزاء والسخرية.
4- محاولة بيان ضحالة فهم العقاد في شروحه للأبيات وكذا في مناقشته الفلسفية لما أورده الفليسوف الألماني شوبنهور بتقسيم الدنيا إلى فكرة وإرادة، حيث أبان الرافعي عن مدى تخريب العقاد لفكرة شوبنهور بفهم مغلوط لما أصلَّ له وانتقد سوء ترجمة العقاد وعدم صحتها في إيصال المعنى أو اختصارها وتلخيصها بشكل يُفسد المعنى.

وفي النهاية جمع هذا "السفود" في كتاب قدّم له إسماعيل ظهير ونُشر ككتاب مستقل، فادّخرها العقاد في نفسه، فلمّا أبان الرافعي عن نفسه وكتب مقالة لاحقاً في نقد ديوان الأربعين بعد السفود ونشرها باسمه، ردّ العقاد في مجلّة الجهاد وانتقم لنفسه من الرافعي.

على أنّ هناك بعدا آخرا في هذه الخصومة حاول العقّاد استغلاله لصالحه، وهو كونه ليس مجرّد أديب، وإنّما سياسي وكاتب حزب الوفد –الحزب المحبوب عند المصريين آنذاك–وهكذا فإنّ من جرحه العقاد فهو مجروح، ومن انتقد العقاد فهو عديم الوطنية ومن أذناب الطغاة. ففي مقاله في مجلة "الجهاد" اتّهم العقّاد الرافعي في وطنيته وحاول إيهام القّراء بأنّ الرافعي لم يكن لينتقده إلاّ لأنّه هو العقاد السياسي الوفدي عدوّ الحكومة المتسلّطة على الناس بالحديد والنار.